الفصل السادس

التفسير العلمى للقـرآن

ـ ان القـرآن لا يصطدم مع العلم ، ولكنه يصطدم مع أشـياء أخرى يظن أو يتوهم انها علم ، وهى ليست بالعلم ..

القـرآن يصطدم مع الجهـل ..

القـرآن يصطدم مع الشـك ..

القـرآن يصطدم مع الظـن ..

القـرآن يصطدم مع الوهـم ..

القـرآن يصطدم مع التقليد ..

لكن القـرآن لا يصطدم ابـدا مع العلم ..

« الشيخ محمـد متولى الشعراوى »

ـ ان الخطأ الفادح يكمن فى الادعاء بأن لكل ظاهرة علميـة آيـة تتحـدث عنها أو تومىء اليها .. فهـذا لون من الاعتساف فى التفسير .

« محمـد الدسـوقى »

نشـــاط رقم « ١١ »

اشـــتمل القـــرآن على قرابة سبعمائة وخمسين آية علميـــة أو كونية(١) مثـــل :

ـ « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعـــد خلق فى ظلمات ثلاث ، ذلكم اللـــه ربكم له المـــلك لا اله الا هو فانى تصرفون » ..

(الزمر : ٦)

ـ « أو لم ير الذين كفـــروا أن السمـــوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(الانبياء : ٣٠)

١ ـ ما الحكمة التى أرادها اللـــه سبحانه وتعالى من احتواء القـــرآن على تلك الايات العلمية ؟ ..

٢ ـ يردد البعض أن القـــرآن كتاب علم طبيعى (أو مرجع علمى) فما رأيك أنت فى هـــذا القول ؟ ..

٣ ـ هل عرض القـــرآن هـــذه الايات العلميـــة بنفس الطريقة التى تعرض بها المـــراجع المسائل العلمية ؟ ..

٤ ـ جرت محاولات متعـــــددة لربط تلك الآيات العلميـــة بنتائج العلوم الطبيعية وهى المحاولات المعروفة باسم (التفسير العلمى للقرآن) ولقد انقسمت الآراء ازاء تلك المحاولات الى معارض على طول الخط ومؤيد على طول الخط ـ فمع أى فريق أنت ؟ ..

---

(١) يبلغ المجموع الكلى لعـــدد آيات القـــرآن الكريم ســـتة آلاف آية وستمائة آية .. وبذلك تكون نسبة الآيات العلمية أو الكونية به حوالى ١١ر٣٧٪ .

٥ — يدعو كثير من معلمى العلوم وغيرها الى احتواء مناهج العلوم على الايات العلمية القرآنية ، وينادون بضرورة ربطها بما يدرسه التلاميذ من موضوعات علمية ، فما موقفك انت من هذه الدعوة ؟ .

ان الله أعلم بالحكمة الحقيقية من احتواء القرآن الكريم على هذا العدد الكبير من الايات العلمية على نحو يفوق به الكتب المقدسة الاخرى كالانجيل والتوراة (أنظر موريس بوكاى ، ١٩٧٦ ، ص ١١ ، ١٢) .

فهل الحكمة من ذلك أن يكون القرآن كتاب علم طبيعى ؟ أم الحكمة اظهار اعجاز القرآن أمام من يتشكك أنه من عند الله سبحانه وتعالى .

ان قلة قليلة هى التى تنظر الى القرآن الكريم على اساس انه كتاب علم طبيعى او مرجع علمى ، وهذه القلة يدفعها حماسها الى القول بضرورة استخراج العلوم الطبيعية من القرآن ، وربما كانوا فى ذلك يستحضرون فهما معينا لقوله تعالى فى الاية الثامنة والثلاثون من سورة الانعام :

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ..

مع أن المفسرين يرجحون — او يقبلون على الاقل — أن المقصود بالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ (أنظر عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢ ، ص ٧٤) .

ان كتاب الله العزيز ليس كتابا فى العلوم قديمها وحديثها ، انما هو اجل من ذلك واعظم ، انه كتاب عقيدة وتشريع (محمد متولى الشعراوى (١٩٨١) ، موريس بوكاى (١٩٧٦) ، عبد الغنى عبود — (١٩٧٧) .

ربما لا يكون من الصواب ان (نتصور) الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد بعث ليبشر بانشطار الذرة أو ارتياد الفضاء او حتى بكروية الارض او تفلطحها عند القطبين او قانون الجاذبية وما الى ذلك ، فهذه الامور ليست عقائد ، ثم انها ليست فى حاجة الى رسول من السماء وانما هى معارف يحصلها البشر بأنفسهم . فالله سبحانه وتعالى قد وهب الانسان — خليفته فى الارض — من الملكات ما يستطيع بها تحصيل المعارف وادراكها ، ثم انها لم تكن فى صالحه فى معظم الأزمنة الماضية

للدعوة للايمان بجوهر الدين ، لأنها سلسلة من المقدمات والنتائج ، لكل منها أوان مناسب له ووسائل متطورة لاظهاره ، ولو ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — مزج دعوته بشيء من هذا ، لما آمن به أحد من قريش وغيرها ، ولخسر القضية فى دعوته للايمان بالله ووحدانيته . ومع ذلك ، فالقرآن — كما ذكرنا من قبل — يحفل بما يخص الانسان على طلب العلم ، ولكن بوسائله ومداخله الطبيعية من التفكر والتدبر فى خلق السموات والارض وغيرهما ، وكان هذا خيرا وأبقى لأى كتاب فى العلم ، فمهما كبر حجما أو عظم شأنا فهو كتاب محدود ، أما ايقاد جذوة الفكر وطلب العلم عند الانسان فهى هبة لا تخبو ولا حدود لها . (عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢) .

اذا كنا قد استبعدنا من تفكيرنا أن القرآن كتاب علم طبيعى ، فلم اذن احتوى على آيات علمية ؟ ..

يرى الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٨١) فى هذه الآيات دليلا على اعجاز القرآن ، فاذا كان للقرآن اعجازه اللغوى أو البلاغى فله ايضا اعجازه العلمى « ان الله سبحانه وتعالى فى علمه علم انه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب سيأتى عدد من الناس .. يقولون انتهى عصر الايمان ، وبدأ عصر العلم ، ولذلك وضع فى قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس ، ويثبت أن عصر العلم الذى يتحدثون عنه قد بينه القرآن فى صورة حقائق الكون ، بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنا ، ولم يكتشف العقل البشرى معناه الا فى السنوات الماضية **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق »** ..

(فصلت : ٥٣)

ومما يزيد من ادراكنا لعظمة المعجزة العلمية للقرآن ، ما قاله أخيرا موريس بوكاى — الطبيب والباحث الفرنسى : « لقد اثارت هذه (الجوانب) العلمية التى يختص بها القرآن دهشتى العميقة فى البداية، فلم أكن أعتقد قط بامكان اكتشاف عدد كبير الى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماما للمعارف العلمية الحديثة وذلك فى نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا — (موريس بوكاى ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٤) .

يتضح من ذلك انه ليس هنالك تصادم حقيقى اذن بين القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وهذا التصادم يمكن حدوثه فقط عندما

يساء تفسير آية علمية لتبدو فى غير معناها الحقيقى ، أو عندما تستغل نظرية علمية لم يؤيدها الكثير من العلماء — ضد ما جاء به القرآن . ان مثل هذا التصادم يكون مزعوما (انظر محمد متولى الشعراوى ، ١٩٨١) .

ان روعة المعجزة العلمية للقرآن لتتضح اكثر الوضوح فى الاسلوب الذى عرض به القرآن المسائل العلمية ، فعرض القرآن لهذه المسائل يختلف عن عرض المراجع العلمية لها ، فالقرآن لا يستخدم الفاظا حديثة مثل : الالكترون ، تمثيل ضوئى ، قانون بقاء الطاقة .. ولا يقدم تفاصيل واجراءات خاصة بتلك المسائل ، وانما يقدمها بالاشارة والرمز والاستعارة والمجاز واللمحة الخاطفة ، والعبارة التى تومض فى العقل كبرق خاطف . تأمل معى الاية التالية :

« يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل » ..

(الزمر : ٥)

فهذه الاية لا يمكن تفسيرها الا بتصور أن الارض كروية ، والليل والنهار كنصفى كرة ، ينزلق الواحد منهما على الاخر بفعل دوران هذه الكرة المستمر بل ان استعمال لفظ « يكور » استعمال غريب تماما ، ويفرض علينا هذا التفسير فرضا (مصطفى محمود — ١٩٧٧) .

والسؤال الان : لماذا لم يعرض القرآن حقيقة كروية الارض بقوله مباشرة : ان الارض كروية ؟ ..

اليس فى عرض الآية بهذه الصورة مباشرة اثارة لشكوك المسلمين الاوائل فيما جاء به القرآن ؟ من كان منهم يصدق بكروية الارض ؟ .

بقى شىء آخر ملفت للنظر فى المعجزة العلمية فى القرآن هو ثراء الموضوعات العلمية التى عالجتها الآيات ، فهناك موضوعات عن الخلق والفلك ، والتناسل والحيوان والنبات والماء والمعادن وغيرها بالعشرات (راجع فى ذلك موريس بوكاى — ١٩٧٧) .

واخيرا نصل الى الحديث عن الجدل الدائر حول التفسير العلمى للقرآن حيث تستخدم بعض معطيات العلوم الطبيعية الحديثة لتفسير

الآيات الكونيـــة فى القـــرآن ، وهذا الجدل ليس وليـــد العهـــد ، ولكنه ممتـــد عبر مئات السنين(١) .

لقـــد انقسمت الاراء حول هـــذا التفسير بين معارض على طول الخط وبين مؤيد على طول الخط ، وان كانت الساحة لا تخلو من مؤيـــد بحـــذر أو معارض بحـــذر .

ـــ دعنا يستعـــــرض ـــ أولا ـــ وجهة نظر المؤيدين (انظر عبـــد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢) .

١ ـــ اننا نعيش عصر العلم ، ولا شك ان الدعوة للايمان خاصـــة بين الشباب قـــد تكون أكثر وقعا اذا تمت من خـــلال كشف النقاب عن المعجزة العلميـــة للقـــرآن ، والمتمثل فى آياته التى تنـــاولت مســـائل علميـــة .

٢ ـــ ان للتفسير العلمى للقـــرآن فائدة مزدوجة لاصحاب الثقافة الدينية واصحاب الثقافة العلمية على السواء ، وهـــذا يسهم فى عبور الفجوة المتوهمة بين العلم والدين والفجوة المفتعلة بين الثقافتين .

٣ ـــ يسهم التفسير العلمى للقرآن فى ازالة الشبهات من نفوس الشباب حيث يتوهمون وجود تعارض بين نص قرآنى شريف وشىء عن معارفهم العلمية .

اما عن وجهة نظر المعارضين فيمكن عرضها فى النقاط التاليـــة :

١ ـــ ليس العلم ســـوى فروض ونظريات يعتقد رجال العلم فترة من الزمان فى صحتها ثم لا يلبثون أن يثبتوا بطلانها ، ولذلك لا يجوز

---

(١) ان النزعة للتفسير العلمى للقـــرآن تمتد من عهـــد النهضة العلمية فى الدولة العباسية ولقـــد بدأت هـــذه النزعة فى صورة محاولات يقصـــد بها التوفيق بين القـــرآن وما جـــد من العلوم ثم وجـــدت الفكرة مركزة وصريحة على لسان الغزالى ، ومن سلك مسلكه من العلماء ، ثم طبقت الفكرة عمليا ، وظهرت فى مثل محاولات الفخر الرازى ضمن تفسيره للقـــرآن ثم وجدت بعد ذلك كتب مستقلة فى استخراج العلوم من القرآن وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم ، وأخيرا راجت فكرة التفسير العلمى للقرآن فى العصر الحاضر (محمد حسين الذهبى ، ١٩٧٨) .

أن نرجع اليها عند دراستنا لآيات القرآن الكريم (بنت الشاطىء ، ١٩٨٢) .

٢ ــ يختلف التفسير العلمى للقرآن عن تفسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وهذا الامر يبعد الاسلام عن جذوره واصله ، وفى هذا تقول بنت الشاطىء (١٩٨٢) :

« لا يكون الاسلام اسلاما اذا انحرف عن نص كتابه الحكيم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، اعنى اننا فى الدين نحاول ما استطعنا أن نقترب من الفهم النبوى » (ص١٣) .

٣ ــ ان المفسر للقرآن يحتاج الى دراسة علوم التفسير . وهى قد جاوزت خمسين علما ــ نذكر منها علم اللغة ، والنحو ، التصريف ، الاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والقراءات واصول الفقه ، الناسخ والمنسوخ وغيرها .

وان عدم المام بعض القائمين بالتفسير العلمى للقرآن بعلوم التفسير قد نتج عنه اخطاء فى تفسير القرآن(١) الامر الذى له خطورته على الدين الاسلامى وحيث ياخذ البعض هذه الاخطاء سلاحا ضد هذا الدين ..

منهج التفسير العلمى للقرآن

نشاط رقم ١٢

اقرا من فضلك مقالة : لماذا التعسف الباطل فى تفسير القرآن الكريم بجر العلم اليه أو حجبه عنه ملحق رقم (٢) هل ساعدتك هذه المقالة فى تكوين راى فى قضية التفسير العلمى للقرآن

---

(١) توجد العديد من الكتابات التى تناولت بعض هذه الاخطاء فى تفسير القرآن الكريم انظر مثلا عبد الحافظ حلمى محمد (١٩٨٢) ، محمد متولى الشعراوى (١٩٨١) .

لاشك انك قد تعلمت من قراءة هذه المقالة (ملحق رقم ٢) الكثير عن التفسير العلمى ، للقرآن الذى من أبرزه أن التفسير العلمى أمر قد يكون مرغوبا فيه فى هذا العصر ، عصر العلم ولكن هذا التفسير ليس أمرا متروكا لكل من هب ودب وأننا فى حاجة الى تحديد منهج واضح يرشدنا فى عملية التفسير هذه ، فما هى عناصر هذا المنهج .

دعنا نقترح العناصر التالية :

١ — ليس المقصود بالتفسير العلمى للقرآن أن نقحم حقائق العلم على التفسير اقحاما أو نفتعل مناسبات نحشرها افتعالا متعلقين بأهداف لفظ او معنى من معانى القرآن للجمع بينه وبين حقيقة علمية او نظرية علمية لم تزل فى حاجة الى تمحيص ... (عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢) ..

أنظر مثلا كيف حاول البعض تفسير الآية التالية :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (الرحمن : ٣٣) .

انهم يقولون ان هذا السلطان ما هو الا سلطان العلم .. (انظر عبد الله شحاتة ، ١٩٨٠ ، ص١٨) وخاصة علوم الفضاء التى ادت الى هبوط الانسان على سطح القمر ..

يرد الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٨٢) على أصحاب مثل هذا التفسير ويقول :

انتم لم تتأملوا الآية كما يجب .. ان الله لو أراد أن يقول ان اختراق السماء أمر يحتاج الى سلطان العلم لقال ذلك ولأوضحه .. ولكن الخالق اضاف بعد هاتين الآيتين آية اخرى تقول : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » (الرحمن : ٣٥) .

ان العقل الضال قد يقول أن الانسان وصل القمر بسلطان العلم ... ونحن لا نجادل فى ذلك .. ان العلم ممنوح للانسان الذى اخذ باسباب الله فنفكر فى كيفية الوصول الى القمر .. وهو ناحية من نواحى الارض ولكن القمر بعيد عن السماء ولا بسلطان لاحد على

السماء الا الخالق .. فلقد حدد الخالق أن من يحاول الاقتراب من الشماء فان نيرانا سوف تسلط عليه وشواظا من نحاس فلا يكتب له الانتصار » (ص١٢) .

ويفسر الشيخ الشعراوى معنى الاستثناء فى قوله (لا تنفذون الا بسلطان) بأن المقصود بهذا الاستثناء هو صعود الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال فى حديثه عن الاسراء والمعراج انه صعد الى السماء .

٢ ـ ان أى تفسير سواء كان علميا او غيره لابد أن يخضع لدلالات اللغة العربية وقواعدها التى لا خلاف عليها .. والى قواعد تفسير النصوص المتفق عليها كاحكام العموم والخصوص والاطلاق والمنطوق والمفهوم الخ ... (محمد سعيد رمضان البوطى ، ١٩٧٩) .

٣ ـ ان التفسير العلمى أو غيره ينبغى الا يتعارض مع مضمون أية آية فى القرآن ، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل اى قاعدة من قواعد تفسير النصوص ، كما لا ينبغى لهذا التفسير أن يتعارض مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوى صحيح ، بحيث لا تتخذ هذه المعارضة ذريعة لاثبات التناقض (محمد سعيد رمضان البوطى ، ١٩٧٩) .

٤ ـ ليس هناك ما يمنع ان تنظر للتفسير العلمى للآيات على اساس انه فرض علمى نحاول اثباته أو اثبات غيره بالمنهج العلمى دون ادنى حرج . فاذا توسلنا بالمنهج العلمى الى اتفاق هذا التفسير مع معطيات العلم الحديث (حقائق العلم ، مفاهيمه ، مبادئه ، قوانينه ، نظرياته) وعدم تعارضه معها فاننا نقول بهذا الاتفاق .

أما اذا جاء هذا التفسير معارضا لمعطيات العلم . فان ذلك يعزى الى خطأ فى فهمنا للعلم أو فهمنا للقرآن ويظل العلم فى حالة الاتفاق والتعارض فى عصمة منهجه وتظل عقيدتنا بمنأى عن التزعزع (محمد احمد بدوى ، ١٩٨٢) .

٥ ـ لاينبغى أن يصور القرآن الكريم وكأنه فى سباق مع العلم فلقد شاع بين الكثيرين من المفسرين المعاصرين مسارعتهم الى

القول بأن القرآن قد سبق العلم فى هـذا أو ذاك من نتائج العـلم أو اكتشـافاته وهـذا مزلق خطـير له محـاذيره فانه غالبا ما يكون قولا جزافا غير مسـتند على أى اساس علمى أو تاريخى .

فاذا جاز مثلا أن نشرح للناس ما وصل اليه العلم عن القوى التى تجذب الاجرام السماوية بعضها الى بعض ثم تحفظها متباعدة عن بعضها البعض دون أن تتداعى وأن نقول ان هـذه القوى كأنها المعنية بالعمـد التى لا نراها فى قوله تعالى « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » (الرعـد : ٢) .

فانه لا يجوز ان نقول أن القرآن قد سبق الى ذكر قانون الجـذب العـام فى الرياضـة الفلكية الذى اكتشـفه نيوتن (عبد الحـافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢) .

٦ ـ لا ينبغى أن يتناول التفسـير العلمى الامور الخاصـة بالغيبيات فلا كلام فى الغيبيـات الا بالقرآن أو حديث نبوى وما ينطبق على الغيبيات ينطبق أيضا على المعجزات « الاسراء والمعراج » فلا ينبغى الكلام فيها الا اذا كان المقصـود أن يظهر العلم عظمة ما فيها من اعجاز أو لتقريبها الى الافهام (عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٢) .

٧ ـ يفضل أن يصاحب التفسير العلمى لآيات القرآن الكونية التفسـير الدينى لها وذلك قد يعمـق فهم الآية . ولقد أخـذت بعض الكتب المعاصرة بهذا الاتجاه ... أنظر على سبيل المثال : محمد اسماعيل ابراهيم (١٩٧٧) .

واخيرا لسنا بحاجة الى أن نؤكد على ضرورة أن تراجع التفسيرات العلمية للقرآن من قبل لجان متخصصة من رجال الدين والعلم معا(١) ..

فالعبث بالمقدسات أمر له خطورته ... وعليك أيها المعـلم أن تأخذ حيطتك التامة وأنت تستخدم آيات القـرآن العلمية فى تدريسـك ولعل فى العناصر السابقة للمنهج دليلا تسترشد به فى ذلك .

---

(١) يجدر بنا أن ننوه أن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة قد اخذ بهذا الرأى عندما أصـدر « المنتخب فى تفسير القـرآن الكريم ، ١٩٧٨ » .